ما وراء النفق الضوئي

رواية لليافعين

تأليف/
عيشة صالح محمد

الطبعة الأولى: 2024
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية - عدن: (1402)
العنوان: ما وراء النفق الضوئي
المؤلف: عيشــة صالـح محمـد
رسومات: أماني جمال كرمدي
إخراج: أحمد بافقيه
المقاس: 21x14 سم
عدد الصفحات: 56

من إصدارات اتحاد أدباء وكتاب الجنوب
الأمانـــة العامـــة

اتحاد أدباء وكتاب الجنوب
Southern Writers Union

المحتويـــات

المفاجأة الأولى 4

العودة خائبًا 8

عالم مختلف عجيب 14

إخفاء السـر 16

الفتاة في منزل مازن 19

اجتياز النفق العجيب 28

البحث عن رزان 30

أخبار جديدة 36

بين القطة والفتاة 44

زمجرة الوحش 50

النهايـة 54

المفاجأة الأولى

لم يكن لمازن أي هدف وهو يرمي الحصى باتجاه البحر في الساعة الثامنة مساء، ذلك الفتى النحيل ذو الشعر الكثيف المتموج، جالس وحده على دكة مرسى السفن، في مدينة المعلا، جارة البحر، لا شيء جديد يحدث معه، لقد اعتاد استذكار دروسه في هذا المكان، لكن الليلة الأمر اختلف، أطبق كتاب الفيزياء للصف الثاني الثانوي، وهمَّ بالمغادرة إلى البيت، ثم توقف مذهولا، حين لمح فتاة تطل من باخرة رابضة أمامه، فرك عينيه ثم عاود النظر «فتاة... إنها فتاة بالفعل!» حدّث مازن نفسه، رآها بوضوح، فتاة بدت بعمر قريب من عمره، تلبس سترة زرقاء، وقبعة باللون نفسه فوق شعر أشقر، ملامحها لا تشبه فتيات المدينة.

استغرب مازن من وجود تلك الفتاة بهذه الهيئة، في باخرة كهذه، إنها باخرة شحن تعج بحاويات البضائع، كان المشهد ساكنا على تلك الباخرة، لا أناس يظهرون ولا حركة ولا أصوات منبعثة، ليس غير الفتاة، ظهرت فجأة ثم توارت إلى الداخل، كأنها طيف «إن الأمر مريب حقا» هكذا قال في نفسه.

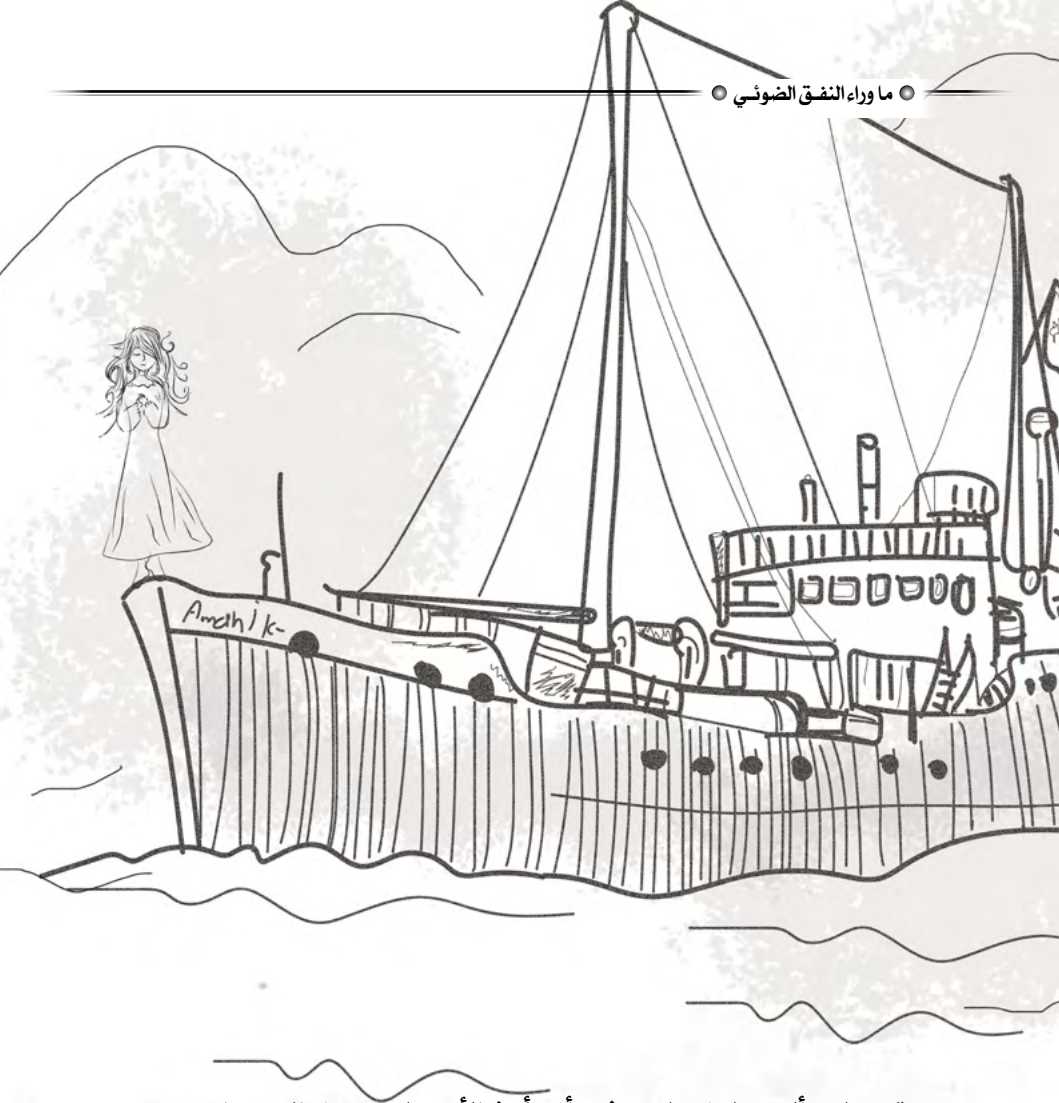

قرر مازن ألا يتجاهل ما حدث، وأن يأخذ الأمر على محمل الجد، دار في خلده أن الفتاة ربما تكون في وضع يحتاج إلى مساعدة، ووجدت فيه طوق نجاة، أو تكون في أسوأ الأحوال مخطوفة، فعزم على العودة صباحا حين تدب الحركة، غادر المرسى الكائن على بعد خمس دقائق

مشيا على الأقدام من منزله الكائن في حي (المعلا دكة)، عاد في صباح اليوم التالي، قبل أن يذهب إلى مدرسته، وقد بدأ دبيب العمال والبحارة، اقترب مازن من جسر الباخرة وأخذ يجول ببصره، فأوقفه أحدهم قائلا:

- إلى أين؟ لا يسمح بالصعود لغير العاملين هنا، من تكون أنت؟

- أنا مازن، أريد فقط أن أطمئن على الفتاة التي في الباخرة.

- فتاة؟ أي فتاة؟

- فتاة رأيتها تطل بالأمس هناك. وأشار بيده إلى الشرفة التي أطلت منها.

- يا بني لا يوجد هنا أي فتاة، فهذه سفينة شحن وكل طاقمها رجال.

- ولكني رأيتها بأم عيني.

- لا تضيع وقتي بهذيانك، لدينا عمل هنا، هيا يا فتى، لا ينقصنا مشاغبة تلاميذ الثانوية (قالها ثم مضى إلى عمله).

العــودة خائــبًا

ذهل مازن مما سمعه، فتراجع يائسا مشدوها، كيف لا توجد فتاة وقد رآها بعينيه، أخذ جانبا ليس ببعيد من الباخرة، وأخذ يراقب المركب ليتأكد بنفسه، مضت ساعة ولم ير سوى العمال وهم يقومون بأعمالهم؛ فأسرع الخطى إلى مدرسته قبل أن يبدأ طابور الصباح، عاد ظهرا إلى البيت وقد أنهك عقله التفكير، فاستلقى على سريره شارد الذهن محاولا جمع شتات أفكاره، فلم يلبث أن زادت حيرته فوق ما كان، كان متعبا

من سهر الليلة الماضية واستيقاظه المبكر؛ فنام، وبعد دقائق رآها تدخل حجرته وتجلس إلى جانبه ممسكة بيده، فيستيقظ ويعتدل جالسا.

- أنت؟ كيف أتيت إلى هنا؟

- أنا أعلم أنك جئت تبحث عني، لم أتمكن من مقابلتك، كان الأمر خارجا عن إرادتي، أعتذر لذلك.

- لا عليك، أردت الاطمئنان عليك فحسب، شعرت أن هناك خطبا ما، هل أنت بخير؟ هل لي أن أعرف ما الذي يحدث معك؟ لقد أخبروني أن تلك الباخرة ليس فيها إلا عمال الشحن.

- هم لا يعلمون بوجودي، ولم يروني، سأخبرك فيما بعد، سآتي إليك قريبا، لكن الآن علي المغادرة.

- لا ... لا تغادري أنا لم أفهم شيئا يا ... ما اسمك؟

- رزان، اسمي رزان، والآن إلى اللقاء.

غادرت الفتاة وهو ينادي:

- رزان انتظري لا تغادري، رزان، رزان...

ثم فتح عينية ليجد والدته إلى جانبه تهدئه وتقرأ عليه المعوذات.

- ماذا جرى لك يا بني من رزان؟ ولِمَ تصرخ؟

يشرب من الماء الذي بجانبه، ويتنفس بعمق:

- لا شيء مهم، لا تقلقي يا أمي إنه حلم.

- إنّي قلقة عليك، فأحوالك عجيبة هذه الأيام.

- لا شيء يدعو إلى القلق، ربما من ضغط المذاكرة.

- إذن هيا يا بني لتناول الغداء.

- سأتناوله لاحقا، أريد أن أبقى بمفردي لو تسمحين يا أمي.

تغادر أم مازن الحجرة، ويبقى وحده يتذكر حلمه، يحدث نفسه: «إن تلك الفتاة حقيقة وليس حلما، وسوف أجدها نعم إنها حقيقة، يجب أن أتأكد أنها في وضع سليم» وفي المساء حين اقتربت عقارب الساعة من الثامنة، قرر مازن أن يذهب إلى المرسى، وبينما هو في طريقه وقد خلا الشارع من المارة، يسمع وقع أقدام يلتفت خلفه، فلا يرى أحدا، واستمر في سيره نحو المرسى حتى وصل وجلس على الدكة ينظر إلى البحر، ولا شيء غير سكون الليل ونسمات هواء باردة وشرود في شيء لا يعلم كنهه.

وبينما هو جالس إذا بصوت ناعم يناديه: «مازن»

يتلفت يمنة ويسرة ولا يجد أحدا، بدأت دقات قلبه تتسارع وزادت برودة أطرافه، واتسعت حدقتا عينيه وهو يكرر الالتفات في كل اتجاه والصوت يناديه، مازن ... مازن.

سقط مازن مغشيا عليه برهة ثم أفاق؛ ليجد نفسه ممددا على الأرض وبجانبه الفتاة، تنظر إليه.

- هل ما أراه حقيقة أم حلم؟

ترد الفتاة بصوت حان.

- بل حقيقة ... هل أنت بخير؟

نهض مازن وجلس على مقعد طويل كان هناك، وجلست الفتاة بجانبه، مد يده إلى وجهها ولمس بأطراف أصابعه جبهتها، عندها أدركت أنه غير مصدق لما يرى، فقالت:

- أنا حقيقة.. ولكني من عالم آخر.

- ماذا تعنين بالعالم الآخر؟ وكيف عرفت اسمي؟

- عندما جئتَ في الصباح كنت أسمع ما دار بينك وبين العامل من حديث، فعرفت اسمك، ولكني خفت من الظهور في ذلك الوقت.

- ما الذي يخيفك؟ وما هو عالمك؟

نظرت الفتاة نحو الأفق ثم شرعت في رواية قصتها.

- أنا من سكان عالم أخر لا يشبه عالمكم، لقد غادرت موطني لأنجو بنفسي بعد أن حل به الدمار، جئت أبحث عن الاستقرار والأمان.

كان مازن يستمع إليها في ذهول، ثم قاطعها:

- هل أنت جنية؟

- لا لست من عالم الجن، نحن مخلوقات أخرى لنا صفاتنا وقوانيننا.

- هل قلت إنك جئت إلى عالمنا تبحثين عن الاستقرار والأمان؟

- أجل...

- عن أي أمان تتحدثين، إننا عالم دائما ما نتسبب بإفساد أي شيء جميل.

بدت على ملامحها مسحة حزن أو ربما خيبة أمل مما قال مازن، فبادر يعقب، هذا لا يعني أنه لا يوجد هنا جانب آخر مشرق جميل، يكفي أني هنا معك. ظلا معا يتحدثان، وأخبرته عن قصتها الغريبة.

عالم مختلف عجيب

أخبرته رزان أنها من عالم يسكن إحدى طبقات الأرض السفلى، عالم له قواعده الخاصة، لديهم قدرتان عجيبتان، الأولى القدرة على التشكل بصورة الحيوانات، والثانية الدخول إلى أحلام النائمين. كان يصلهم بعالم البشر نفق ضوئي ساطع الألوان، يحظر تجاوزه على كل سكان ذلك العالم، لوجود أسطورة لديهم تقول إن من يتجاوز ذلك النفق يتحول إلى رماد، نعم رماد، يبدو الأمر غير منطقي لكن الأسطورة العجيبة تقول ذلك، كما أن من يموت منهم يتحول إلى رماد كذلك.

كانوا يعيشون وسط الطبيعة، بين الأشجار والأنهار، ولا يأكلون إلا طازجا طريا، ولا يشربون إلا ماء نقيا، ولا يتنفسون إلا هواء نظيفا، ومن هنا بدأت مشكلة عالم رزان، فأجسادهم لا تتحمل التلوث والسموم، حتى وإن كان طفيفا، ولا حيواناتهم ولا تربتهم ولا سماؤهم، كل شيء يتحول إلى رماد حين تغلبه السموم.

وفي الأونة الأخيرة بدأت تلك المخلوقات تعبث بعالمها فأدخلوا المبيدات والأسمدة الكيميائية إلى مزارعهم، وانتشرت المصانع التي تنفث الأدخنة، وعمدوا إلى إحراق نفاياتهم، فتلوثت التربة والماء والهواء، فأصبح ما حولهم يتحول إلى الرماد شيئا فشيئا، ولم يستمعوا إلى أصوات النصح والتحذير من فناء العالم، حتى جاء النهار الذي وجدت فيه رزان العالم من حولها أكواما من الرماد، حتى أفراد عائلتها طالهم ذلك، فأصاب الهلع القلة القليلة الباقية، عندها قالت لهم رزان:

- ماذا تنتظرون؟ علينا أن نفعل شيئا لإنقاذ أنفسنا، هيا بنا إلى النفق، إن بقينا هنا سنتحول إلى رماد لا محالة، ولكن إن عبرنا النفق لربما كان هناك أمل وننجو، نحن غير متأكدين من صحة الأسطورة.

صاح بها أحدهم قائلا:

- أيتها العاصية، نفضل أن نتحول إلى رماد على أن نموت عصاة لمبادئنا، لن نتجاوز النفق المحظور.

«يا لكم من تعساء متقاعسين» تمتمت بها رزان ثم تركتهم ومضت نحو نفق الضوء، وما لبثت أن اختفت هناك.

إخفـــاء الســـر

كل ذلك تحدثت به رزان مع مازن، وبعد الحديث الطويل الذي دار بينهما لم يعد متوجسا منها، قال لها:

- لا يهمني عالمك ولا اختلاف خلقتك، بل يهمني الروح النقية التي تحملينها، لا تقلقي، سوف أساعدك، أنا بجانبك.

ردت رزان بشيء من الارتياح.

- أستطيع أن أبقى في هذا العالم إن وجدت الحياة النقية، فأنا شديدة الحساسية لأي تلوث.

- سأبذل قصارى جهدي للمحافظة عليك بعيدا عن التلوث، رغم أنه يحيط بنا من كل اتجاه.

ساد صمت لبرهة من الوقت ثم قالت وكأنها تحدث نفسها ولكن بصوت مسموع:

- ليس لدي خيار آخر، ولا أعلم ما سيؤول إليه مصيري في هذا العالم الغريب...

- لا تقلقي، أنت في بلد الطيبين، تعالي معي...

- إلى أين؟

- إلى بيتي..

- لديك بيت؟

- نعم ... أسكن مع عائلتي، أمي وأبي وأختي، ستكونين في أمان في بيتنا.

رافقت رزان مازن، وأثناء سيرهما أخذ يفكر في رد فعل عائلته عندما يقدمها لهم، وخالط تفكيره القلق، ماذا سيخبرهم عنها؟ وهل سيستوعبون فكرة أنها من عالم آخر غير عالمهم؟ «لا أظن أن عائلتي سيتقبلون فتاة غريبة بهذا الشكل، يجب أن أجد حلا لهذه المعضلة، وأبقي الأمر سرا مؤقتا» كان ذلك الحديث يدور في خياله، ثم تذكر أن رزان أخبرته بقدرتها على التشكل بمخلوقات أخرى، فطلب منها أن تتشكل بشيء صغير الحجم؛ حتى لا تراها عائلته أثناء دخولهما إلى البيت، حتى تحين الفرصة المناسبة لإخبارهم بأمرها، فوافقت، وأخبرته أنه يجب ألا يراها أحد أثناء تحولها.

- هل تستطيعين التحول إلى هرة صغيرة؟
- أجل أستطيع، هذا أسهل شيء ممكن أن أتحول إليه.
- هذا جيد، فلتتحولي إلى هرة، وسأخفيك في حقيبتي.

طلبت رزان من مازن أن يبقى مكانه لتتمكن من التحول، فتوارت خلف حائط، ثم عادت إليه هرة بيضاء صغيرة، بعينين خضراوين، نظر إليها مازن فاغرا فمه من الدهشة، وقال: «أووه قطة ... قطة حقيقية، أكاد لا أصدق ما أرى» ثم التقطها بسرعة حتى لا يلفت نظر أي متطفل، وأدخلها في حقيبته وتركها مفتوحة حتى يدخلها الهواء.

الفتـاة في منزل مـازن

دلف مازن إلى البيت وتوجه مباشرة إلى حجرته، ثم أخرج رزان من الحقيبة ووضعها على سريره يتأملها على وضعها، وهي تنظر إليه بعيني هرة.

- سأتأكد ممن في البيت ثم أعود إليك.

ذهب ما زن ليرى ثم عاد.

- كل واحد في غرفته، بإمكانك الآن أن تعودي إلى طبيعتك.

نظرت إليه بلطف قطة مسكينة، وقالت:

- لا أستطيع.

- ماذا؟ كيف لا تستطيعين؟

- لم أذكر لك أني عند التحول إلى شكل مخلوق آخر لا يمكنني العودة كما كنت قبل انقضاء يوم كامل.

- يا إلهي ... هذا يعني أنك ستبقين هكذا -هرة - إلى الغد؟

- نعم، للأسف.

- حسنا ... دعينا نتفق أنك تنامين في سريري، وأنا أنام على الأرض، وعندما لا أكون في الغرفة وتشعرين أن أحدهم قادم تختبئين تحت السرير.

- حسنا ...

كورت رزان جسدها على السرير، وعيناها بنصف إغماضة.

- ما بك يا عزيزتي؟

- أشعر أني سأجلب لك المتاعب.

- لا ... لا متاعب في وجودك معي، لا تقولي ذلك، لقد وعدتك أن أقف بجانبك، لتتجاوزي الأمر، ولن أتخلى عنك أبدا.

- حقا لن تتخلى عني يا مازن؟

- نعم يا عزيزتي، اطمئني، سأساعدك حتى تتكيفي مع وضعك الجديد، وسأفكر معك في إيجاد حل.

يقوم مازن من مكانه ثم يسألها:

- أريد أن أحضر لك شيئا تأكلينه، انتظريني وسوف أجلب لك ‹مخبازة› لذيذة.

- مخبازة؟

- أجل، إنها وجبة عدنية مشهورة هنا.

- وماذا فيها؟

- خبز وسمك، بما أنك الآن قطة ستعجبك كثيرا.

- أنا أخذت فقط شكل القطة، ولكني لا أملك طباعها وعاداتها، بإمكاني تناول أي طعام بشرط أن يكون طريا طازجا.

- الحمد لله، اطمأننت الآن أنك لن تطاردي الفئران.

- أووه، لا ... لن أفعل ذلك.

ضحك مازن وقال:

- أمزح أمزح ... لا عليك، سأذهب الآن لجلب المخبازة وأعود حالا.

- هل ستصطاد السمك الآن؟

- أصطاد؟ لا يا عزيزتي، سأشتري السمك والخبز جاهزا من المطعم.

- لكني لا أضمن أن يكون طريا، نحن عندما نأكل سمكا نصطاده، ونطبخه على الفور.

- إذن لن أحضر المخبازة الآن، ربما الفواكه تفي بالغرض.

ذهب مازن وأحضر لها طبقا من الفواكه المشكلة والماء، أخذت قضمة من تفاحة، ثم تركتها وقالت.

- ليست جيدة.

- إنها سليمة، انظري إلى لونها اللامع.

- أنا شديدة الحساسية لمحتوى الطعام، لا بد من أنها قد رشت بالمبيدات قبل قطفها، أخشى أن تتراكم السموم في جسدي، وينتهي بي الأمر إلى الهلاك.
- يا إلهي، هذا يعني أنك لن تأكلي شيئا، من أين آتيك بطعام نقي؟
- كيف تعيشون وأنتم تتناولون طعاما مسموما؟
- هذا ما يحدث يا عزيزتي.
- ألا تمرضون من ذلك؟
- بلى، ولكن ليس مثلكم وإلا لكنا قد انقرضنا منذ زمن... إذا ذهبت إلى المستشفيات ستجدين العجب، مما يعانيه المرضى من أمراض، ليس ببعيد أن يكون السبب ما يتناولونه من طعام.

خاف مازن من أن تموت رزان جوعا، فهي ترفض تناول أي شيء به ولو قليل من المواد الكيميائية، كالخضروات التي استخدم فيها سماد أو مبيدات، أو المعلبات لوجود مواد حافظة، حتى الدجاج لم يسلم من حقن التسمين. فكر قليلا، ثم تركها وحدها في الغرفة، وذهب مسرعا إلى متجر في أقصى الحي يبيع ألبان الأبقار والإبل الطازجة، أحضر لها منه، وعندما تذوقته استحسنته وشربت منه، فتلاشى قلقه.

بعد أن مر على تحولها يوم كامل، وصار بإمكانها أن تعود فتاة، كان يوم العطلة الأسبوعية وجميع أفراد العائلة موجودون في البيت، يسهرون أمام التلفاز، فأصبح من الصعب وجودها كفتاة في حجرته، لذا بقيت على وضعها قطة؛ ليسهل اختباؤها.

في منتصف نهار اليوم التالي خرج مازن من البيت ليجلب لها الحليب الطازج، وأثناء غيابه دخلت أخته، رشا إلى الغرفة تبحث عن شاحن هاتفها الذي استعاره منها في الليلة الماضية، ونسي إرجاعه. وكانت رزان مختبئة تحت السرير، تحاول ألا تصدر أي صوت أو حركة، لكنها نسيت ذيلها ممتدا، فداست رشا عليه، وعندها قفزت رزان إلى الركن تحت السرير وهي تكتم ألمها، أحست رشا أن شيئا تحرك تحت السرير، انحنت لتنظر، ومن حسن الحظ لم ترها، تكورت ببراعة خلف الحذاء، فغادرت رشا الغرفة، ولم تشك بشيء.

عندما عاد مازن حدثته رزان عن خوفها من دخول أخته إلى الحجرة، وقلقها من انكشاف أمرها، لكن مازن طمأنها، وأخبرها أنه سيغلق باب حجرته بالمفتاح عند مغادرته في المرة القادمة، لتأخذ راحتها من دون الخوف من أن يراها أحد.

في المساء بعد أن انصرف كل واحد من أفراد الأسرة إلى حجرته، همس لها مازن:

- بإمكانك الآن أن تعودي لطبيعتك، لقد طال بقاؤك في شكل الهرة. لابد أنك تعبت من ذلك.

قالت رزان بصوت ضعيف متعب:

- حسنا، استدر حتى أتمكن من التحول.

استدار مازن برهة، ثم سمعها تقول:

- مرحبا، لقد عدت.

- مرحبا بك يا عزيزتي، كم أتمنى ألا تتحولي مرة أخرى. ولكن مالي أراك شاحبة ويبدو عليك التعب والإرهاق؟

- هكذا نحن يا عزيزي، ليس من السهل علينا التحول فكلما طالت مدة تحولنا نصاب بالتعب وإذا استمر الوضع طويلا لأي سبب نكون معرضين للموت، لذلك نحن لا نتحول إلا للضرورة عند الخوف على حياتنا.
- أوه يا عزيزتي أنا آسف، لن أدعك تتحولين مرة أخرى، سوف أتدبر الأمر.
- أنا خائفة جدا، فعالمكم غريب، أنا لا أفهم لماذا علي الاختفاء عن الأنظار، لم أستوعب ذلك.
- لو رآك أحد برفقتي وجب علي أن أبرر لهم السبب، ويجب أن يكون السبب مقنعا لهم، فليس من المقبول أن آتي بفتاة غريبة إلى البيت. لو كنت فتاة عادية لما فعلتُ ذلك، ولكن في حالتك هذه لا أستطيع تركك في عالم غريب بالنسبة لك، لا تعلمين عنه شيئا.

سكت قليلا ثم واصل حديثه:

- أريدك أن تثقي بأني أعمل على حمايتك ومساعدتك على العيش بسلام، حتى تتأقلمي مع حياتك الجديدة.

تساءلت رزان.

- ترى هل سأتمكن من التكيف مع عالمكم؟
- سأكون بجانبك حتى تتمكني من ذلك، لا تخشي شيئا طالما أنا على قيد الحياة.

نامت رزان على السرير، ونام مازن على الأرض في جانب من الحجرة حتى الصباح. كان يترك حجرته مغلقة طوال الوقت ولا يغادر المنزل إلا عندما يكون الجميع في الخارج، ففي فترة الصباح لا يبقى أحد في المنزل، يذهب هو إلى المدرسة، وأخته إلى الكلية، ووالداه إلى وظائفهما، وفي أحد الأيام بينما هو يذاكر دروسه، ورزان تشاهد مقاطع للفيديو في هاتفه، إذا بوالدته تطرق الباب وتناديه، فجرت رزان لتختبئ في خزانة الملابس قبل أن يفتح الباب، دخلت والدة مازن الغرفة، وبدأ نظرها يجول في زواياها، ومازن صامت يترقب، يخشى أن تلاحظ والدته شيئا غريبا، قالت والدته:

- ما بك يا مازن؟ إن أحوالك غريبة يا بني لم لا تجلس معنا، إنك تطيل المكوث في حجرتك، كما أنك أصبحت تغلقها باستمرار، ولا نستطيع أخذ ملابسك المتسخة لغسلها.

- لا شيء مهم، يا أمي لا تقلقي.
- وما هذه الرائحة الغريبة في غرفتك؟
- رائحة؟ لا يوجد رائحة.
- حسنا ... حسنا، سأتركك الآن، ولكن عليك أن تخرج من عزلتك، نحن قلقون عليك.
- نعم، يا أمي لن أطيل المكوث في غرفتي.

ما إن غادرت والدته حتى فتح باب الخزانة؛ لتتمكن رزان من الخروج.

- سأضطر للجلوس مع عائلتي من وقت لآخر؛ حتى لا يشكوا في أمري.
- نعم يا عزيزي كنت سأخبرك بذلك.
- اسمعي... هناك أمر يحيرني لم تحدثيني به إلى الآن.
- ما هو؟
- لم تخبريني كيف خرجت من طبقات الأرض؟ وكيف وصلت إلى تلك الباخرة.
- أووه ... نعم إنها مغامرة عجيبة، أنا نفسي لا أصدق كيف حدث كل ذلك... سأخبرك.

اجتيـاز النفـق العجيـب

بدأت رزان تحدثه عن رحلتها العجيبة، ففي ذلك اليوم الذي قررت فيه مغادرة عالمها انطلقت نحو النفق، وهو نفق لم يجرؤ أحد من قبل على الاقتراب منه، ظلت تسير فيه ولا ترى شيئا من شدة الضوء الذي أعمى بصرها، واستمرت في رحلتها الغامضة، والنفق يبث أضواء ملونة غريبة تتحرك حركة حلزونية، وفجأة غابت عن وعيها، وحين أفاقت، وجدت نفسها في مكان يحيط به الجليد من كل الاتجاهات، نظرت حولها وأدركت أنها قد تجاوزت عالمها، ولكنها لا تعلم شيئا عن العالم الذي وجدت نفسها فيه.

ظلت ساعات تسير على قدميها لا تعلم إلى أين تتجه ولا ما يخفي لها القدر، ظلت تائهة وحيدة في ذلك المكان المليء بالثلج، حتى رأت رحالة قادمين نحوها في مركبة ثلجية فانتابها القلق منهم، وصلوا إليها وأخذوا يتأملونها ويدورون حولها باستغراب، كانوا يتحدثون إليها، ولكنها لم تكن تفهم ما يقولون ولا هم يفهمون ما تقول؛ لقد كانت مشتتة في النظر إليهم جميعا، ومرتابة منهم. كان من قواعد عالمها أنهم يستطيعون فهم لغة أحدهم إذا أطالوا النظر في عينيه، وهذا ما حدث لها مع مازن، استطاعت التحدث إليه بلغته من النظر إلى عينيه.

لم يبق الأمر هكذا طويلا؛ أخذها الرحالة معهم وعادوا بها إلى بلدهم،

وهناك رأت رزان مجتمعا متغيرا شوارع ومتاجر وبحرا وسفنا، ارتابت من تصرفات هؤلاء الرجال؛ فقد ربطوها بحبل في أحد المخازن، ولم تكن تعلم ما يفكرون به حيالها، عندها فكرت بالهرب منهم عن طريق تحولها إلى ضفدعة لينفك الحبل منها، نجحت في فعل ذلك، وبدأت بالقفز من مكان إلى آخر.

رأت رزان مجموعة من الرجال قادمين نحوها، فاختفت في أحد الصناديق وكانت المفاجأة أنهم جاؤوا ليأخذوا ذلك الصندوق وحملوه معهم إلى الباخرة. وبعد ساعات تحركت الباخرة إلى أن وصلت إلى المكان الذي رأت فيه مازن، عندها ظهرت له بصورتها كفتاة.

كانت قصة رزان أمرا عجيبا محيرا، لم يألف مازن رؤية الخوارق إلا في قصص الخيال، ولكنه صدق كل كلمة تقولها.

قال لها مازن:

- يبدو أن النفق قد قذف بك إلى منطقة في المحيط المتجمد الشمالي.
- محيط متجمد شمالي؟ ماذا تعني بهذا؟
- إنها منطقة في شمال الكرة الأرضية يغطيها الجليد.

البحث عن رزان

في الصباح التالي تركها في حجرته، وذهب إلى المدرسة، وفي طريق العودة كان برفقة بعض أصدقائه، وبينما هم يمزحون ويضحكون، فاجأهم بسؤال:

- هل تصدقون أن هناك عالمًا آخر فيه مخلوقات تشبهنا، يعيشون في طبقات الأرض؟

قال أحد الأصدقاء:

- نعم نصدقك، فأنت غريب الأطوار، لو قلت إن السماء تمطر حليبا سنصدقك.

ثم تعالت ضحكاتهم، وهو يشيرون إليه، وقال آخر:

- وماذا أيضا يا غريب الأطوار؟ هل عندهم دوري كرة قدم مثلنا؟

- إنكم أغبياء ولن أتحدث معكم.

ثم تركهم، وسلك طريقا آخر حتى لا يسير معهم.

استحوذت مشكلة رزان على كل تفكيره، ولم ينتبه إلا وسيارة تصطدم به أثناء اجتيازه الطريق، نقله صاحب السيارة إلى مستشفى قريب وهو في حالة غيبوبة، وأدخل العناية المركزة لسوء حالته، ووصل الخبر إلى أهله فلحقوا به إلى المستشفى، وظلوا معه طوال الوقت. لكن رزان لم تعلم شيئا مما حدث، وبقيت في الحجرة وحيدة قلقة من طول غيابه في انتظار عودته.

أفاق مازن من غيبوبته في اليوم التالي، وما إن أفاق حتى تذكر رزان التي تنتظره ولا تعلم ما حدث معه، ولا ما حل به، توتر كثيرا لأن حالته لا تسمح له بالحركة؛ وهذا ما جعله خائفا على رزان، فالباب مغلق، وليس عندها طعام، وما زاد من خوفه أنه رآها في حلمه تبكي وحيدة.

بعد يومين من مكوث مازن في المستشفى، رأى أنه لابد من إخبار عائلته عن رزان، حتى لا يصيبها مكروه في غيابه، فأخبر عنها والدته، واستغرب من ردة فعلها حيث إنها لم تندهش من حكاية رزان، بل طلبت منه بعد سماع حديثه عنها ألا يقلق، وأنها سوف تقوم بتفقدها والاهتمام بها في غيابه، وعليه فقط الاهتمام بصحته وعدم الانفعال حتى يتماثل للشفاء سريعا، ويتمكن من العودة إلى البيت. فرح مازن بحديث أمه واطمأن على رزان ونام.

جاء والد مازن ورأى الدموع في عيني زوجته، فبادرها الحديث:

- ما بك؟ لا تخافي يا عزيزتي، أخبرني الطبيب أن حالته مستقرة، وهو في تحسن مستمر.
- لكنه يهذي ويقول أشياء غير منطقية، حاولت أن أسايره في الكلام حتى لا ينفعل.
- يهذي؟! متى حدث ذلك؟
- قبل قليل كان يحدثني عن وجود فتاة في حجرته، وأنها من عالم آخر، وكلام كثير عنها، ثم طلب مني بإلحاح أن أذهب إلى البيت وأتفقدها وأحضر لها طعامها. ولم يهدأ إلا حين وعدته أن أذهب إليها.
- مسكين ولدي، ربما ارتفاع حرارته سبب له هذيانا، سوف أخبر الطبيب عن ذلك.

لم يصدق والدا مازن كلامه عن رزان، واعتبرا كلامه تخيلات ناتجة عن حالته الصحية، فلم يذهب أحد لتفقد رزان، إنها في نظرهم مجرد وهم. كان مازن يسأل عن رزان كل يوم، فيخبرونه أنها بخير، وبعد مضي عشرة أيام على بقائه في المستشفى، حدثهم الطبيب أن حالته مستقرة لا تستدعي البقاء أكثر، ولكن عائلته تشك في عقله بسبب حديثه عن رزان، فقرروا عندها العودة به إلى المنزل، وعرضه بعد ذلك على طبيب نفسي.

في طريق عودتهم إلى البيت كان مازن مسرورا لظنه أن أمر رزان لم يعد سرا، بل إن عائلته قد تقبلت وجودها. وعندما وصل إلى البيت هرع إلى حجرته فلم يجدها، بحث عنها في كل مكان في البيت، ولا أثر لها، صرخ بصوت عال.

- أين ذهبت رزان؟

ردت والدته:

- من رزان يا ولدي؟ اهدأ وسوف نأتي لك بطبيب يساعدك.
- ما حاجتي للطبيب؟ أنا أسألكم عن رزان، إلى أين ذهبت؟ ألم تقولي لي إنها في البيت تنتظرني؟
- يا ولدي لا وجود لهذه الفتاة إنك تتخيل، وسوف نساعدك على تجاوز الأمر.
- هل هذا يعني أنكم لم تروها، ولم تحضروا لها الطعام؟ كنتم تكذبون علي، كيف سأعرف الآن ما حل بها؟ سوف أجن إن لم أعثر عليها.

كان يتحدث والدموع تملأ عينيه، فعائلته غير مقتنعة بأن قصة رزان حقيقة، وهذا ما جعلهم في حيرة، طلب منهم أن يتركوه وحده في الغرفة فغادروا، وبدأ يبحث عنها في كل شبر من الغرفة ويناديها، رزان ... رزان ... فكر أنه ربما تكون قد تحولت إلى شيء صغير الحجم ولم يرها. وعندما يئس من العثور عليها في المنزل خرج هائما على وجهه بحثا عنها يتلفت في كل اتجاه كالمجنون، وقادته قدماه إلى مرسى السفن، مكان اللقاء الأول، وظل هناك وقتا طويلا أملا في أن يعثر عليها.

حل المساء ومازن على حاله على دكة مرسى السفن وكأن العالم قد أعاره كل أحزانه وهمومه، وبينما هو على هذه الحال، يسمع خطوات من خلفه فينهض ملتفتا إلى الوراء بسرعة، ظنها رزان لكنه والده، اقترب منه وقال له.

- مازن ... هيا بنا إلى المنزل، يكفي جلوسا هنا إنك ما زلت متعبا وما زال هناك أدوية يجب أن تأخذها.
- لن أعود حتى أجدها.

فكر والد مازن قليلا ثم قال:

- حسنا ستبحث عنها كل يوم إلى أن تجدها، تعال معي إلى البيت وعد غدا للبحث عنها، فأمك خائفة عليك، وأنا تعبت من البحث عنك.

عاد مازن مع والده إلى المنزل، ولم يتوقف لحظة عن التفكير في رزان، لا يعلم كيف خرجت ولا إلى أين ذهبت وما حل بها، وأين يبحث عنها. الأسئلة تدور في رأسه لا يعلم لها إجابات. استمر في البحث عنها يوما بعد يوم لا يجد لها أثرا، وعائلته احتارت في أمره، مرة يحضرون له طبيبا نفسيا ومرة يحضرون له راقيا يقرأ عليه الرقية، وهو غير قادر على إقناعهم أن ما أخبرهم به حقيقة.

أخبـــار جديـــدة

بعد مضي أسبوع بدأ مازن يشك في نفسه بأن ما يحدث له ربما يكون هلوسات بالفعل، وأن رزان من صنع خياله ولا حقيقة لها، وهذا ما جعله متعبا، لم يتمكن من التركيز في أي شيء آخر، ودخل في دوامة الشك. بالرغم من ذلك استمر في البحث عنها من دون كلل أو ملل، وبينما مازن في غرفته ممدد على سريره وعيناه تجولان في السقف، يسمع قرع باب غرفته:

- ادخل...

تحدثه أخته رشا في اندهاش باد عليها:

- مازن ... لقد سمعت أن هناك طبيبا في مدينة خور مكسر، يجري أبحاثا في منزله على مخلوق غريب على هيئة فتاة، لا أعلم ما يقولون بالضبط، لكني شعرت أن له علاقة بمن كنت تخبرنا عنها.

وثب مازن من سريره.

- أين، أين هو؟ إنها رزان ...

أخبرته أخته رشا بكل ما سمعت فخرج على الفور متوجها إلى منزل ذلك الطبيب، وقف أمام بوابة الفيلا الصغيرة التي يقيم فيها، وسط شارع طويل تمتد فيه الفلل الصغيرة على جانبيه، تردد قليلا ثم تشجع وضغط بإصبعه زر الجرس، وخرج له شاب لا يبدو أنه طبيب.

- من تريد؟

- أريد الطبيب.

- لم؟

- مسألة شخصية، في غاية الأهمية، عندما أراه سأخبره.

- عفوا، لا أستطيع إدخالك ولا مناداة الطبيب.

- لماذا؟ أريد التحدث معه في أمر مهم.

- مسألة شخصية كذلك.

- أرجوك دعني أقابله.

- إذن عليك أن تخبرني أولا عن سبب مجيئك.

- أخبره أنني جئت لأمر يتعلق بالفتاة التي عنده.

- أي فتاة؟

- الفتاة ... الفتاة التي يجري عليها أبحاثا.

- هاه هاه هاه ... أنت فتى ساذج، إنها إشاعة.

واصل الشاب ضحكه وهو يغلق الباب ويعود إلى الداخل، تاركا مازن في حيرته. ابتعد مازن قليلا عن بوابة الفيلا، وجلس تحت شجرة يفكر فيما سيفعل، وبعد دقائق رأى رجلا يقترب من البوابة، وبعد أن ضرب الجرس خرج له الشاب نفسه الذي رآه، ودار بينهما حديث، لم يسمع منه شيئا،

ولكنه لاحظ غضب الرجل من خلال حركة جسده، وتلويحه بيده أمام الشاب، وبعدها عاد الشاب إلى الداخل، وظل الرجل منتظرا، حتى عاد الشاب في دقيقتين، ومد يده بمبلغ من المال، أخذه الرجل وانصرف، فلحقه مازن، حتى أصبح خلفه، قال له:

- لو سمحت يا عم.

- التفت الرجل إلى الخلف وقال:

- تقصدني؟

- نعم ... أريد مساعدتك.

رد الرجل وهو يسير بسرعة ومازن يحث الخطى ليسير بجانبه.

- بم يمكنني مساعدتك؟

- أبحث عن فتاة قيل لي إنها في منزل الطبيب، ولكن ذلك الشاب الذي كنت تتحدث معه أنكر ذلك، وأنا شاك بصدقه.

توقف الرجل وبدأ بفتل شاربه، ويحدق في مازن، ثم واصل السير وقال:

- ومالك أنت وتلك الفتاة؟

- يبدو أن لديك معلومات عنها، أرجوك أخبرني.

- أممم ... في الحقيقة أنا من أحضرها للطبيب، بل بعتها له، وقبل قليل تسلمت ما تبقى من ثمنها، كان الوغد المعاون للطبيب يريد أن يتملص من الاتفاق.

- أنا لا افهم شيئا، هلا شرحت لي الأمر...

- يكفيك ما قلته ...

وبسرعة دلف الرجل إلى حافلة ركاب ومضى، وتوقف مازن ليلتقط أنفاسه، أصبح الآن متأكدا من وجود رزان في منزل الطبيب، فعاد إليه وعندما خرج الشاب قال له بنبرة حازمة:

- لن أتحرك من هنا حتى أرى الفتاة، إنها تخصني، وإلا سأصرخ بأعلى صوتي وأخبر الجميع أن الطبيب خطف الفتاة، وحين رأى الشاب صوت مازن يعلو قال له:

- اهدأ اهدأ سوف أخبر الطبيب وأعود إليك، لا تتحرك.

- هذا ما أريده، إني أنتظر.

ذهب الشاب إلى الداخل وعاد بسرعة:

- الطبيب في انتظارك، هيا ادخل.

رافق مازن الشاب، ومشيا في ممر طويل أفضى إلى حجرة مكتب وما إن رأى الطبيب، حتى شرع بحديثه:

- دكتور ... إن الفتاة التي عندك تخصني.

- وكيف تخصك؟

- كانت معي.

- والآن معي، لا مشكلة.

- يا دكتور، إنها تخصني وتحتاج إلي.
- هل تظن أني سأسمح لك بأخذها؟ لقد اشتريتها بمبلغ كبير ممن وجدها؛ فهي ملكي الآن.
- ولكنها ليست سلعة تباع وتشترى، هي فتاة لها روح ومشاعر.
- من الأفضل أن تذهب من هنا، ولا تعطلني، أنا في مهمة من أجل العلم.
- أريد أن أراها وأطمئن عليها.
- لا لن تراها، إنها مادة بحثي، ومضطر للتحفظ عليها حتى أنتهي.
- أرجوك يا دكتور، لا بد من أن أراها.

فكر الطبيب قليلا ثم قال:

- حسنا سأجعلك تراها من بعيد، ولكن عدني أن تذهب بعد ذلك.
- حسنا.

أخذ المعاون مازن، وسار به في الممر الطويل نفسه وتوقف عند باب مقفل، فتح الباب ثم دخل ليجد بابا آخر فتحه ودخل ممسكا بيد مازن، وكان خلف الباب حارس أوقف مازن مكانه، رأى رزان ممددة على سرير مقيدة من يدها بسلسلة تنتهي بأحد قوائمه، كانت رزان ذابلة شاحبة، رفعت رأسها تنظر إلى مازن بعينين غائرتين وجفنين متعبين، صرخ مازن:

- رزان ... رزان، ولكنها لم تجبه فقط تنظر إليه، يحاول الإفلات من

الحارس ليصل إليها ولم يستطع، فدفعه الحارس إلى الخارج وأغلق الباب، وهو يبكي بحرقة ويصرح باسم رزان.

أخذ مازن يفكر بطريقة لتحرير رزان من ذلك المكان لأنه أدرك أن الطبيب لن يسمح له بأخذها. ولكن الأمر صعب بوجود الحارس والمنزل المحصن. فكر كثيرا ودار في ذهنه أن رزان لو تمكنت من التحول إلى مخلوق صغير ستتخلص من قيدها وتهرب، وهذا لن يحدث والحارس ينظر إليها، فالحل أن يبعد نظر الحارس عنها، وهذا ما سيحاول فعله.

في اليوم التالي عاد مازن إلى منزل الطبيب وطلب مقابلته، وواجهه الشاب بالرفض، فاستخدم الحيلة في ذلك، طلب من الشاب أن يخبر الطبيب أن لديه معلومات مهمة عن الفتاة ستساعده في أبحاثه، فسمح بعد ذلك بمقابلته وقال له الطبيب:

- اسمع يا فتى، قلت إن لديك معلومات، ماهي؟
- نعم، إنها كانت في منزلي وعرفت عنها الكثير.
- هل كانت تتحدث إليك؟
- أجل... وأخبرتني بأشياء كثيرة.
- ولم لا تتكلم الآن، لم أسمعها تنطق بكلمة واحدة؟
- لابد من أنها خائفة، لو تركتني معها سوف أجعلها تتكلم.
- لو جعلتها تتكلم سأتخذك معاونا لي في أبحاثي وسأجري لك راتبا.
- اتفقنا.

نظر الشاب إلى مازن بامتعاض وغيرة، ولكنه اضطر لمسايرة الوضع، ورافق الطبيب ومازن إلى الحجرة التي تحتجز بها رزان.

- هيا تحدث إليها.
- ليس هكذا يا دكتور، أريد أن أنفرد بها أولا.
- سأجعلك هذه المرة تنفرد بها، ولكن حذار من أي تصرف أحمق.

خرج الطبيب ومعه الحارس والمعاون الشاب، وترك مازن مع رزان وأغلق باب الغرفة من الخارج.

اقترب مازن من رزان وجثا على ركبتيه قرب السرير، وهي ممددة لا تقوى على الحراك اقترب أكثر، عيناه في عينيها.

- هل أنت بخير يا عزيزتي؟

رزان بصوت متهدج مرتعش.

- أين كنت؟
- أنا آسف، كان أمرا خارجا عن إرادتي.
- أنا لست بخير.
- لقد تعرضت لحادث في ذلك اليوم، وعندما استعدت وعيي لم أتمكن من المجيء إليك، أخبرتهم عنك، أوهموني أنهم صدقوني وأنهم يعتنون بك، لم أكن أعلم أنهم يظنونني أهذي ويجارونني في الكلام. لم أعلم بالحقيقة إلا بعد عشرة أيام، عندما عدت إلى المنزل ولم أجدك فكدت أجن.

يبكي ويواصل حديثه.

- بحثت عنك في كل مكان، المهم أني وجدتك الآن. سأخرجك من هنا، وسأعتني بك، لا تخافي.
- انتهى الأمر يا مازن، فات الأوان.
- لم يفت شيء، ستخرجين من هنا أعدك بذلك، سأدير وجهي عنك وبإمكانك أن تتحولي إلى أصغر شيء تستطيعينه، ثم تهربي عندما يُفتح الباب... هيا يا رزان افعليها.
- لا أستطيع يا مازن أنا الآن أحتضر.
- لا تيأسي، ما زال هناك أمل.
- أنت لا تعلم ما حدث لي في غيابك.

بين القطــة والفتـــاة

بصوت متهدج ضعيف، أخبرت رزان مازن عما حدث معها في غيابه، أخبرته أنها في ذلك اليوم انتظرته كثيرا، وشعرت بالخوف والقلق، وفي اليوم التالي أحست أنها ستموت جوعا، وعندما يأتي سيجدها رمادا إن بقيت في الحجرة المغلقة، ولا بد من أن تخرج منها لتتدبر أمرها ولتطمئن على مازن، فهي تعلم أنه لا يمكن أن يتركها وحدها إلا لشيء ما حل به، أرادت أن تأتيه في حلمه، ولم تتمكن من ذلك؛ فالدخول إلى الحلم يحتاج قوة أكبر من قوة التحول، ومن أين تأتي بالقوة والحال هذه.

تحولت في اليوم التالي إلى هرة، فهذا أسهل شيء لها، وفتحت النافذة وأخذت تقفز فوق الأسطح إلى أن وصلت إلى الأرض في حديقة أحد المنازل، ووجدت هناك شجر المانجا، فتسلقت وأخذت تأكل منها، لم تهتم بنقائها من عدمه لشدة جوعها، ثم عادت إلى منزل مازن، وجلست قرب باب المنزل لعلها تعرف شيئا عن غيابه.

في المساء رأت والد مازن وهو يفتح الباب ورآه أحد الجيران، فسأله عن حال مازن، فعرفت عندها أنه في المستشفى. أخذ والد مازن شيئا من المنزل، ثم خرج مرة أخرى، حاولت رزان تتبُّعه لتصل إلى المستشفى، ولكنه ركب السيارة وذهب مسرعا، حينها كان جسدها الصغير يرتجف من الخوف والقلق، بقيت رزان بالقرب من منزل مازن، تنتظر الفرصة لتتمكن من الوصول إلى المستشفى.

في اليوم التالي ذهبت لتأكل من فواكه الحديقة، لكن الأطفال رأوها وأمسكوا بها وأخذوا يلهون بها، وكلما أفلتت منهم يجرون خلفها ويسحبونها من ذيلها، فهربت إلى الشارع فأخذت القطط تتعارك معها بشراسة، وأحدثوا بجسدها خدوشا وجروحا، تمكنت من الهرب منهم بصعوبة، واختبأت تحت سيارة مركونة على جانب الطريق، وبعد دقائق رأت سيارة أخرى تركن بجانب تلك السيارة، وفيها رجل وزوجته، وحين نزلا من السيارة، لمحت المرأة رزان، فقالت لزوجها:

- انظر يا عزيزي، ما أجمل هذه القطة.
- صحيح، إنها جميلة جدا.
- ما رأيك أن نأخذها ونربيها، سيفرح بها ابننا.
- لا مانع، صحيح أنها تبدو ناصعة البياض ونظيفة، لكن مع ذلك يجب علينا أن نذهب بها إلى محل العناية بالحيوانات أولا؛ حتى يعقموها، ويعطوها تطعيما ضد الأمراض.

سمعتهم رزان فقالت في نفسها «يا ويلي، يجب أن أهرب قبل أن يمسكوا بي» تسحبت من تحت السيارة، وهمت بالجري، فانتبها لها وحاولا إمساكها، راوغتهما وجرت، شعرت أنها قد أفلتت منهما، وفجأة وجدت يدين تحكم قبضتها عليها، وصبي يصرخ:

- أمي أبي، لقد أمسكت بها.

«يا لحظي التعيس، من أي داهية جئت الآن» قالت رزان في نفسها. ثم صعدت المرأة وابنها إلى البناية حيث منزلهم، وأخذ الرجل رزان معه بالسيارة، وتوجه بها إلى محل العناية بالحيوانات، وهناك انبهر العاملون بجمالها، وشرعوا بغسلها بالشامبو وتشذيب أظافرها، وتعقيم شعرها، ثم أمسك أحد العاملين بفكها، وأفرغ فيه عبوة صغيرة، سمعتهم يقولون إنه لقاح ضد الأمراض، فأخذت تبكي بكاء شديدا، فهي تعلم أن ذلك

الشيء سيمرضها، ولكنها لا تستطيع أن تخبرهم أنها ليست قطة. رأوا دموعها وهي تملأ عينيها الخضراوين الجميلتين، وتسيل على خدها ذي الشعر القصير الأبيض، فقال الرجل:

- ما هذا؟ كأنه دموع.

رد عليه العامل:

- ربما دخل في عينيها قليل من الشامبو، لا تقلق.

أخذها الرجل وعاد إلى بيته، وأخذ هو وزوجته وابنه يتناوبون في حملها، وظلوا يلاعبونها طويلا، ثم قدموا لها صحنا مليئا بطعام القطط ‹ دراي فود، فعزفت عنه، فأحضروا لها حليبا معلبا، شمته ثم تركته، فاحتاروا في إطعامها، وفي الأخير فتحوا لها علبة تونة، ولم تذق منها شيئا، وظلت تفكر بينها وبين نفسها بطريقة للهرب منهم، وما زالوا لا يتركونها تستريح حتى أنهكت، وعندما رأوها لا تتحرك، شعروا بأنها تحتاج إلى النوم، فتركوها على الكنبة، وذهب كل واحد في شأنه، فقالت في نفسها وهي منبطحة لا تقوى على الحركة «هذا وهم يحبونني، كيف لو يكرهونني؟» ومن دون أن تشعر نامت، ثم قامت مفزوعة، لا تعلم كم مضى من الوقت لكنها، تشعر داخل جسدها بدبيب، يحدث لها عندما يحين وقت تحولها، فهي لا تستطيع البقاء وقتا طويلا في جسد قطة،

وفي غفلة من أفراد العائلة ليلا، تركت جسدها، للتحول وعادت إلى فتاة، وفي آخر لحظة أتمت التحول، رآها الصبي، فصاح بأعلى صوته:

- أمي أبي ... النجدة.

جرت رزان نحو الباب، ولم تتمكن من فتحه.

وفي اللحظة نفسها جاء الوالدان يهرولان إلى الصالة، والصبي يشير بيده إليها.

- القطة، القطة ... أصبحت فتاة.

تراجعوا جميعا إلى الوراء، واختبأوا خلف الكنبة، وأخذوا ينظرون إليها بخوف شديد، وهي تحاول فتح الباب.

قالت المرأة: بسم الله، إنها جنية، انصرفي، انصرفي.

قال الرجل لزوجته وهو خائف: فلتفتحي لها الباب لتنصرف.

- فلتفتح لها أنت، أنا لن اقترب منها.

- ما هذه الجنية التي لا تخرج إلا من الباب، أليس بمقدورها اختراق الجدران؟

- يبدو أنها جنية فاشلة.

شعرت رزان أنهم يريدون أن يفتحوا لها الباب، ولكنهم خائفون منها، فابتعدت عنه، وعندها جرى الرجل وفتحه، ثم عاد مهرولا للاختباء منها، فانطلقت مسرعة، وخرجت من المنزل، وعند بلوغها الشارع سقطت من الإعياء الذي اعترى جسدها.

زمجـــرة الوحـــش

ظلت تسير في الشارع ليلا في محاولة للوصول إلى المستشفى الذي يرقد به مازن، وفجأة توقفت إلى جانبها سيارة فيها ثلاثة شباب طلبوا منها الركوب وأبدوا لها الاستعداد بإيصالها حيث تشاء، هي ليست مطلعة على تعاملات البشر، ولا تعرف كثيرا من مفاهيم البشر، مثل الكذب والخداع ...

ركبت معهم في السيارة على أمل أن يوصلوها إلى المستشفى، وذهبوا بها إلى مكان خال من الناس، عبروا بها نفقا يسمى ‹نفق القلوعة› المؤدي إلى منطقة ‹الساحل الذهبي› ... وسمعتهم وهم يتحدثون بكلام لم تفهمه، لكنها شعرت بالخطر، وأن الأمور لا تسير على ما يرام، فطلبت منهم أن يعيدوها إلى حيث كانت، ولم يستجيبوا لها، وظلوا يتهامسون بينهم، ويتجاهلون كلامها، فقررت أن تنقذ نفسها من مصير لا تعلمه، ولكن ما عساها أن تفعل؟ حين وصلت إلى أقصى درجة في الغضب، أخذت قرارا لأول مرة تتخذه، وهو التحول إلى حيوان شرس، فأخذت نفسا عميقا، وبدأت تنفخ وتنفخ، وتشحذ نفسها بالطاقة، صار جسدها متعرقا بغزارة، وعظامها تؤلمها، لكنها تحملت كل ذلك العناء لتنقذ نفسها، وفي اللحظة الحاسمة تحول جسدها اللطيف إلى دب

أنثى، تزمجر بصوت مهول، ومن شدة صدمتهم لما يتمالكوا أنفسهم، لا سيما من يسوق السيارة، فانقلبت بهم السيارة، وخرجت رزان تجري، ولم تتأثر كثيرا من انقلابها، تركتهم ولا تدري ما حل بهم بعد ذلك.

بقيت مشكلة عند رزان، كيف تستسير في الشارع وهي بجسد الدب؟ هداها تفكيرها إلى البقاء مختبئة بين الأشجار، حتى ينقضي الوقت، وترجع فتاة، فاستلقت على الأرض يغطيها مجموعة من الأشجار القصيرة المتقاربة، ظلت بلا طعام أو ماء حتى مساء اليوم التالي، وشعرت بجوع شديد، لم تستطع التحمل، بعد لحظات لمحت من بعيد أشجار الباباي في حديقة منزل، ومشت باتجاهها لعلها تحظى بثمرة منها، وقبل أن تصل إليها، أفزعها صراخ مجموعة من الشباب يستقلون سيارة: دب ... دب ... دب... غير معقول، في عدن يوجد دب.

في غضون عشر دقائق أصبحت محاصرة بمجموعة من السيارات، في محاولة للسيطرة عليها، ولمحت أحدهم يصوب نحوها بندقية، فلم يكن لديها أي خيار سوى الالتفاف والجري بكل ما تستطيعه من قوة، حتى وصلت إلى جبال حجيف، واختبأت بأحد الكهوف، ظلت فيه والظلام يحيطها، وصوت البوم يقلق سكينتها، وهوام الأرض تدب فوق فروتها، ودموع عينيها لم تجف، حتى حانت ساعة التحول، فبدأت بالنزول بهدوء حتى لا يشعر بها أحد، ليتم التحول في مكان مناسب، غير هذا الكهف المقفر المرتفع، وفي زقاق ضيق عادت فتاة. أرادت أن تعود إلى منزل مازن في المعلا، لكنها ظلت الطريق، وسلكت الاتجاه المعاكس، وواصلت طريقها نحو مدينة التواهي الساحلية.

مرت بجانبها سيارة، بدأت تسير ببطء بمحاذاتها، أخرج رجل رأسه من نافذتها قائلا: «ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة أيتها الشقراء؟» ثم نزل وسحبها بقوة إلى السيارة، وانطلق بأقصى سرعة، وصل بها إلى كوخ للصيادين في حي الفتح ... وبينما هو يخرج بعض الأشياء من كيس لديه، انتهزت فرصة انشغاله لتتحول، فبدأ لونها يتغير، وجسدها يرتجف.

بذلت رزان أقصى طاقتها لتتحول، لكن الرجل استدار نحوها فأُحبِطت محاولتها، ولم تتمكن من إكمال تحولها، فخاف الرجل منها وظنها من الجان ووقف بعيدا عنها، ثم خرج وأقفل الباب من الخارج، وأخذ ينظر

إليها من أحد الشقوق، وكلما حاولت التحول ينظر إليها فترجع كما كانت فرابه أمرها، واتصل بصديق له ليأتي إليه، وعندما جاء صديقه ونظر إليها تمتم بالمعوذات، ثم أخبره أنها ليست من الجان وإلا لاختفت، وقال له إنها شيء عجيب، غير عادي، وأشار عليه أن يخبر عنها الطبيب الذي يورد له حيوانات وجثثا؛ يجري عليها أبحاثا، ولعل هذا الكائن يلزمه، فرد عليه: «خذها افعل بها ما تشاء، وخلصني منها، لا أريد أن أراها»

أخبر الرجل الطبيب عن الفتاة، فطلب منه أن يأتي بها إليه، فربطها الرجل بحبل وأحضرها إليه، وعندما رآها الطبيب أبدى حماسا في معرفة حقيقتها، فباعها له الرجل، وأعطاه الطبيب نصف الثمن المتفق عليه، على أن يعود مرة أخرى لاستلام ما تبقى، فأخذ المال وانصرف.

وصلت إلى مختبر الطبيب منهكة، وقد استنفدت كل قواها في محاولات التشكل والتحول، وكان الطبيب يتعامل معها كأنها جماد بلا روح، فكل يوم يأخذ منها عينات من دمها وغير دمها، ويجري عليها تجارب تشعرها بالألم تارة، وتارة يغمى عليها ثم تفيق، ولا تعلم كم مضى عليها من الزمن.

النهـــايـــة

- لقد تعذبت كثيرا يا عزيزتي، أعدك ألا أبتعد عنك أبدا سوف أخرجك من هنا وستعيشين.
- كنت أتمنى ذلك، لكن فات الأوان وانقضى الأمر، فأنا الآن احتضر وسأموت قريبا.
- لا لن تموتي اصمدي، أنا بجانبك.

تحاول التماسك والتغلب على ألمها وتواصل حديثها:

- لو علم أفراد عالمي وعالمك قيمة العيش الآمن، لما أهدروا أسبابه.
- حاولي أن تصمدي، سيتغير كل شيء، سأوفر لك بيئة نقية، خالية من السموم، سأخبر عنك الجميع، ستكونين رمزا لبيئة تصلح للعيش لكل المخلوقات.

بعد أن استمعت لكلام مازن شعرت بطاقة تسري في جسدها، قالت بدهشة:

- الأمل ... إنه الأمل أعاد لي طاقتي، سمعت في صغري أن الأمل يمنحنا قوة، والآن فهمت معناه.. شكرا لك يا مازن على منحي طاقة الأمل.
- هيا يا رزان افعليها الآن.

بذلت رزان كل جهدها، وقاومت تعبها، بدأت علامات التحول ببطء شديد، بدأ حجمها يصغر وتضمحل ملامح الفتاة شيئا فشيئا، لتظهر ملامح القطة، حتى بقيت آخر خطوة لتكون قطة صغيرة، أنهكها التعب،

وتراجع التحول، لتعود ملامح الفتاة في البروز، ولكن رزان أبت إلا أن تتم ما بدأته، فأخذت نفسا عميقا، وزفرته بقوه، حتى انقلبت في لحظة واحدة قطة صغيرة، ولم يتبق من طاقتها شيء، فسقطت على الأرض، وهي تناديه بصوت لا يكاد يسمع «مازن» فاستدار إليها، ولم يضيع وقتا، التقطها من على الأرض، وأخفاها في ملابسه، ضرب الباب ليفتحوه، ففتح الباب، وجرى نحو الخارج. هرعوا إلى الغرفة فصدموا حين لم يجدوها، وعجزوا عن تفسير ما يحدث، لم يخطر على بال أحد أنها معه بين ملابسه.

وصل إلى منزله، ووضعها أمام أسرته، قطة بيضاء صغيرة، لطيفة بعينين خضراوين، أخبر عائلته بقصتها، وفي اليوم التالي استعادت شكل الفتاة، ورحبت بها عائلة مازن فردا جديدا في العائلة، وأصبحت بعد ذلك مثار حديث وسائل الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي.

انتهت

لا يهمني عالمكِ ولا اختلاف خلقتكِ، بل
يهمني الروح النقية التي تحملينها ،
لا تقلقي . . أنا بجانبك